

مفاهيم القرآن

(127) حتّيتكشف بعض البطون والأبعاد الخفيّة كما هو الحال في بعض أحاديث النبيّ وأهل بيته - عليهم السلام وإن كان بعض هذه البطون تنكشف لنا بمرور الزمن وتكامل العقول ونضج العلوم. وبتعبير آخر: إنّ فهم بعد واحد من أبعاد معاني الآية القرآنيّة، وإن كان ممكناً للجميع; غير أنّ وضوح بعد واحد ومعلوميّته لا تغني عن الإحاطة بالأبعاد والأوجه الأخرى لها. إنّ فهم بعد واحد من أبعاد الآيات التالية: (لَوْ كُنَّا فِيهِمْ مَّالَ آلِهَةٍ إِلَّا اللَّهُ لَعَسَدْنَا فَنُصِيطِحَانِ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنبياء: 22). (وَمَا كُنَّا مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعَضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضٌ (المؤمنون: 91). (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) (النمل: 82). وكذا الآيات الواقعة في سورة الحديد، وما بدأ من السور بالتسبيحات. أقول: إنّ فهم بعد واحد من أبعاد هذه الآيات وإن كان أمراً ميسّراً للجميع، ولكن لا يمكن لمن له أدنى إلمام بمفاهيم القرآن وأسلوب خطاباته أن يدّعي، أنّ جميع أبعاد هذه الآيات مفهومة للجميع بمجرد الوقوف على اللغة العربيّة والاطّلاع على قواعدها. كلاّ; فإنّ الوقوف على مغزى هذه الآيات وأبعادها وباطونها وآفاقها; يحتاج إلى جهود علميّة واطّلاع شامل ودقيق على السنّة المطهّرة، وما جاء فيها حول الآيات من توضيحات وبيانات. وقد تمكّن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يرفع النقاب عن جملة من هذه الأبعاد في حدود ما سمحت له الظروف، واستعدّت له النفوس المعاصرة، فكان لا بدّ من وجود من يخلّفه